http://www.shamela.ws

تم إعداد هذا الملف آليا بواسطة المكتبة الشاملة

الكتاب : دور البصرة في نشأة الدراسات الصوتية الدكتور محمد جبار المعيبد

دور البصرة في نشأة الدراسات الصوتية الدكتور محمد جبار المعيبد

(/)

دور البصرة في نشأة الدراسات الصوتية

الدكتور محمد جبار المعيبد

.1.

بدأ الاهتمام بالدراسات الصوتية خاصة ، والدراسات اللغوية عامة ، في البصرة ، هذا المصر ذي الموقع الفريد على حافة الوطن العربي . لذا فأذا ما اريد البحث في تاريخ الدراسات الصوتية عند العرب كان لابد ان يكون لعلماء البصرة نصيب اكبر في هذا الميدان الرحب .

والعلماء ، الاقدمون منهم والمحدثون ، يتفقون على ان هذا العلم اخذ مكانته وترسخت اركانه على يدي العالمين من علمائها هما : الخليل بن احمد الفراهيدي (توفي نحو 175 هـ) وتلميذه عمرو بن عثمان الملقب بسيبويه (توفي نحو 180 هـ) . لكنهم يتفقون على ان هذا العلم كان عندهما ناضجاً قد اكتمل ووقف على سوقه ، اذ نجد عندهما تحديداً دقيقاً لمخارج الاصوات العربية في زمانها ، ومصطلحات لصفات هذه الاصوات ظلت الى وقتنا هذا يعول عليها في تحديد اصوات عربيتنا المعاصرة .

هذا النضوج والاكتمال كان مثيراً للتساؤل والدهشة : ألم تسبقهما محاولات لعلماء اللغة والنحو في هذا الميدان ، من البصرة او غيرها من أمصار ألعرب او المسلمين ؟ وعلى الرغم من ان هذا التساؤل يشمل علم النحو الذي ورد في كتاب سيبويه بشكل أقرب ألى الاكتمال والنضوج ، الا ان البحث في الدراسات الصوتية قبل الخليل وسيبويه لا يوصل الباحث الى نتيجة تشير الى جذور هذه الدراسة عند من سبقهما من العماء . ومع هذا فأن الشك سيبقى يكتنف على هذا الجانب من النحث ، وسيبقى الافتراض قائماً : هن

هناك جذوراً وبلبنات وبصمات لعلماء وسبقوا الخليل وسيبويه .
واذا ما قارنا هذا الاهتمام المبكر للدراسات الصوتية عند العرب بالدراسات التي اهتمت باصوات اللغات السامية الاخرى فستجد الاهتمام بعربيتنا ابكر من غيرها من اللغات ، لعوامل كثيرة ، اهمها الديني الذي جعل من القرأن الكريم محوراً
دور البصرة في نشأة الدراسات الصوتية . 2 .
لكل الدراسات اللغوية والادبية .

(/)

لقد اثرت دراسات الخليل وسيبويه . وبخاصة الاخير منها . اهتمام علماء اللغة المشترقين والعرب فقدموا دراسات قيمة وضعت في ميزان النقد والتحليل ما قدمه هذان العالمان ، ومن تلاهما من علماء العربية ، وتوصلت الى ان هذه الدراسات الصوتية المبكرة كانت دقيقة في وصف مخارج الاصوات وصفاتها .
وقبل ان نعرض لما كتبه هذان العالمان البصريان عن النظام الصوتي للعربية ، لابد من التأكيد على ان سيبويه هو احد تلاميذ الخليل المقربين . وتذهب جمهرة كبيرة من الدراسين الى ان ما في (كتابه) ان هو الا علم الخليل وارثه ، رتبه سيبويه واخرجه في كتاب(1) . وعلى الرغم من غلو هذه الاقوال ، فأن فيها شيأً كثيراً من الصحه، نضراً الى ما نعهده من قوة العلاقه بين الاستاذ وتلميذه وكثرة تردد اسم الخليل في (الكتاب) .
هذه الاقوال تقودنا الى ان ننظر بحذر الى ما نسب الى الخليل في مقدمة
كتاب (العين) من اقوال في الدرس الصوتي عند العرب . فهي تختلف اختلافاً شديداً مع ماهو مذكور في (كتاب) سيبويه في وصف المخارج وعددها وصفات الاصوات والمصطلحات .
فأذا امنا بأن ما موجود في مقدمة (العين) هو للخليل ، فهذا يعني ان ما في (الكتاب) من الدراسة الصوتية مأخوذ عن غير الخليل ، او انه من اقوال سيبويه وأرائه . لكن سؤالاً ملحاً يبقى يتردد : الم يطلع سيبويه على أراء استاذه في هذا الجانب ؟ الم يتأثر بها ؟ لم لم ينقلها . على الأقل . الى جانب أرائه التي عرضها ؟ اقول : ان الشكوك التي اكتنفت كتاب (العين) ونسبته الى الخليل ،

****

(1) يقول الدكتور ابراهيم انيس (الاصوات اللغوية) وقد لخص سيبويه في اَخر كتابه المشهور اَراء الخليل

في اصوات اللغة في دقة وأمانة ..)

دور البصرة في نشأة الدراسات الصوتية . 3 .

(/)

قديماً وحديثاً ، تجعل الدارس يتردد في قبول في نسبة ما ورد من افكار في الجانب الصوتي في مقدمة (العين) الي الخليل ، لأن الكتاب لن يرو عن اي من تلاميذه المعروفين ، ولم يظهر الا بعد خمس وسبعين سنة من وفاته(4) .

الا ان (العين) بطباعته المتعددة ضل يحمل اسم الخليل أعتماداً على قول من قال ان خطة الكتاب ونظامه كانا من عمله . ومهما يكن فأنا سنعرض الى مادته الصوتية واختلافها مع كتاب سيبويه لنؤكد ترددنا في قبول نسبتها الى الخليل .

. 2 .

ففي مقدمة العين(5) ينقل عن الخليل انه ميز تسعة مخارج للاصوات العربية هي :

1 . الحلقية (ع ، ح ، هـ ، خ ، غ) ، قال : لان مبدأها من الحلق .

2 . اللهويه (ق ، ك) : لأن مبدأها من اللهاة .

3 . الشجرية (ج ، ش ، ض) ، قال : لأن مبدأها من شجر الفم ، اي مفرج الفم .

4 . الأسلية (ص ، س ، ز) ، قال : لأن مبدأها من اسلة اللسان ، وهي

****

(2) بعض العلماء الاقدمين اعتبروا هذا الاختلاف في الجانب الصوتي بين (الكتاب) و (العين) دليلاً على ان كتاب العين ليس للخليل . ومن هؤلاء ابو بكر الزبيدي صاحب كتاب (مختصر العين) .

(النظر : المزهر للسيوطي 1 \ 85) .

(3) ابراهيم انيس ، الاصوات اللغوية 108 . يقول : (فأذا صح ان كتاب العين على الصورة التي انحدرت الينا من عمل الخليل بن احمد او أملائه ، فقد كنا نتوقع أذن ان نجد نفس المصطلحات في كلام سيبويه ووارث الكثير من علمه وآرائه ، ولكن كتاب سيبويه فقد خلى منها . وليس من التجني او المغالاة اذن ان

تتخذ من هذه الظاهرة دليلاً جديداً على عدم صحة الرأي القائل بنسبة كتاب العين للخليل على الاقل على الصورة التي انحدرت الينا) .

(4) ابن النديم ، الفهرست 48 .

(5) 1 \ 85

دور البصرة في نشأة الدراسات الصوتية . 4 .

مستدق طرف اللسان.

(/)

---

5 . النطعية (ط ، د ، ت) ، قال : لأن مبدأها من نطع الغار الاعلى .

6 . اللثوية (ظ ، ذ ، ث) ، قال : لأن مبدأها من اللثة .

7 . الذلقية (ر ، ل ، ن) ، قال لأن مبدأها من ذلق اللسان .

8 . الشفوية (ف ، ب ، م) ، قال : لأن مبدأها من الشفة .

9 . الهوائية (ي ، و ، الالف ، الهمزة) ، قال لأنها لا يتعلق بها شيء .

اما سيبويه فقد عالج النظام الصوتي للعربية ضمن باب (الادغام) وفيه قسم الاصوات على ستة عشر مخرجاً . ولم يعط هذه المخارج اسماء .كما نقل عن الخليل ، وانما حدد كل صوت ، بمصطلح المخرج الاخير له ، واحياناً يشير الى الحيز الذي بدأ منه وانتهى اليه . وهذه هي مخارج الاصوات عنده(6) .

1 . اقصى اللق (الهمزة ، هـ ، الالف)

2 . اوسط الحلق (ع ، ح)

3 . ادنى الحلق (غ ، خ)

4 . اقصى اللسان وما فوقه من الحنك الاعلى (ق)

5 . اسفل من وضع القاف من اللسان (ك)

6 . من وسط اللسان وبين وسط الحنك الاعلى (ج ، ش ، ي)

7 . من بين اول حافة اللسان وما يليه من الاضراس (ض)

8 . من ادنى حافة اللسان الى منتهى طرفه (ل) .

9 . من طرف اللسان بينه وبين مافوق الثنايا (ن) .

10 . من مخرج النون غير انه ادخل في ظهر اللسان قليلاً لأنحرافه الى اللام (ر)

11 . مما بين طرف اللسان واصول الثنايا (ط ، د ، ت) .
12 . مما بين طرف اللسلن وفوق الثنايا (ز ، س ، ص).
13 . مما بين طرف اللسان واطراف الثنايا (ظ ، ذ ، ث) .

****

(6) الكتاب 4 \ 433

دور البصرة في نشأة الدراسات الصوتية . 5 .
14 . من بين باطن الشفة السفلى واطراف الثنايا العليا (ف) .
15 . من بين الشفتين (ب ، م ، و) .
16 . من الخياشم (ن الخفيفة) .

(/)

الى جانب هذه الاصوات ذكر اصواتاً اخرى ينطق بها العرب ، او بعضهم ، وليس لها رمز كتابي . قال :(7) وتكون خمساً وثلاثين حرفاً بحروف هن فروع ، واصلها من تسعه وعشرين وهي كثيرة يؤخذ بها وتستحسن في قراءة القرأن والأشعار ، وهي النون الخفيفة ، والهمزة التي بين بين ، والالف التي تمال امالة شديدة ، والشين التي كالجيم ، والصاد التي تكون كالزاي ، والف التفخيم ، يعني بلغة اهل الحجاز في قولهم : الصلاة والزكاة والحياة . وتكون اثنين واربعين حرفاً بحروف غير مستحسنة ولا كثيرة في لغة من ترتضى عربيتة ، ولا تستحسن في قراءة القرأن ولا في الشعر ، وهي : الكاف التي بين جيم والكاف ، والجيم التي كالكاف ، والجيم التي كالشين ، والضاد الضعيفة ، والضاد التي كالسين ، والطاء التي كالتاء ،والضاء التي كالثاء ، والباء التي كالفاء . وهذه الحروف التي تممتها اثنين واربعين جيدها ورديئها اصلها التسعة وعشرون ، لاتتبين الا بالمشافهة ..) .
مما تقدم يبدو واضحاً ان تقسيم سيبويه لمخارج الاصوات اكثر دقة وشمولاً من تقسيم الخليل(8)مقارنة بالدراسات الصوتية الحديثة . وتقسيمه هذا يعتبر (حصراً علمياً على أعلى درجة من التدقيق ، اعتمد على السماع الذي يسميه المشافهة ، كما اعتمد على استقراء اللهجات جيدها ورديئها(9)) . وقد لاحض ابن جني(10) الفرق بين ترتيبي سيبويه والخليل ، قال بعد ان ذكر ترتيب سيبويه : (فأما ترتيبها في كتاب العين

ففيه خطل واضطراب ومخالفه لما قدمناه آنفاً مما رتبه سيبويه وتلاه اصحابه

****

(7) الكتاب 1 \ 432

(8) محمود السعران ، علم اللغه 99

(9) حسن ظاظا ، كلام العرب 16

(10) سر صناعة الاعراب 1 \ 50 . 51

دور البصرة في نشأة الدراسات الصوتية . 6 .

(/)

عليه) . وهذا يوضح سبب قبول كثير من الدراسيين ، وبخاصه النحاة منهم ، تقسيم المخارج عند سيبويه ، كالمبرد وابن السراج وابن عصفور ومكي بن ابي طالب والزمخشري وغيرهم .

واذا وضعنا جانباً الاصوات التي اختلف فيها الدارسون والمحدثون مع ما ورد عن سيبويه في وصف المخارج ، وهي : الضاد والطاء والجيم والقاف والعين ، فأن الدراسات الصوتيه الحديثه تتفق الى حد كبير مع سيبويه في تقسيمه . حتى ان H-blanc وصفه بأنه (اكمل وادق وصف مبكر للاصوات العربيه وصل الينا حتى الآن(11)) كما وصفه كانتيو بقوله : (ونظرية مخارج الحروف عند العرب نظريه احكموا ضبطها بعنايه) وان ترتيب المخارج (موافق تقريباً لترتيبنا نحن)(12)

اما بشأن الاصوات (ض ، ط ، ج ، ق ، ع) فأن اكثر الدارسين للاصوات اللغوية يرون ان سيبويه لم يخطئ في وصفها ، وانما هي اصوات تطور مخرجها وصارت تنطق بشكل يختلف عما كانت عليه قبل الف عام(13) .

. 3 .

ونأتي الى صفات الاصوات (السواكن \ الحروف) وصفات مخارجها ، وهو ما يسمى في الدراسات الحديثه بالمصطلحات الصوتيه التي ترددت في (الكتاب) و (العين) . اذ نجد الاختلاف كبيراً والبون شاسعاً بين مصطلحات كل منها . حتى ان قارئاً لايعرف العلاقة بين المؤلفين يظنهما بعيدين زماناً ومكاناً ،

او لا تأثير للاستاذ على تلميذه .

****

(11) H.blanc , (the sonorous vs Muffled Distinction in old arabic phonology) , to honor roman gakobson ,I,P,297 .

(12) دروس في علم الاصوات العربيه ، ترجمة صالح القرمادي (تونس 1966) 31–32

(13) د . رمضان عبد التواب ، المدخل الى علم اللغة 62 – 82 ، برکشتراسر ، التطور النحوي للغة العربية 16 –20

دور البصرة في نشأة الدراسات الصوتية . 7 .

(/)

وبدءاً نشير الى ان كتاب العين لايتعرض الى صفات الاصوات (السواكن) . كالذي نجده في كتاب سيبويه ، من حيث الجهر والهمس ، والشدة والرخاوة ، وانما تتردد فيه مصطلحات فيه بالمخرج ، واخرى تشير الى السواكن من حيث مخرجها . وهذا نقص في الدراسة الصوتية .اذاً لايكفي لمعرفة الحرف (الصوت) وتمييزه تحديد المخرج وحده ، دون علاقة ثانية هي صفة الحرف(14) .

فالمصطلحات الخاصة بوصف المخرج هي : (والحلقية واللهوية والشجرية

والاسية والنصعية .. الخ) مما مر منها عند الحديث عن مخارج الاصوات في العين هذه المصطلحات لم ترد في كتاب سيبويه لا من حيث ورود لفظة المصطلح ولا من حيث دلالته ، لكنها ترددت عند اصحاب المعجمات الذين تابعوا العين في وصف مخارج الاصوات .

اما المصطلحات التي تشير الى السواكن من حيث مخرجها لامن حيث

صفتها فهي : حروف الصتم (54 ص) واحرف الطلاقة والطلق (54 ، 55) والذلاقة والحروف الذلق (51 ، 58) .

والحروف الصتم . كما جاء في العين(15) : (التي ليست من الحلق) ، وهذا مصطلح لم يتردد في غير كتاب العين .

اما احرف الطلاقة والطلق ، فجاء ضمن قوله (16) : (فمهما جاء من بناء اسم رباعي منبسط معرى من

الحروف الذلق والشفويه فانه لايعري من احد حرفيى الطلاقة او كليهما) ، وهذا يعني انهما حرفان ، ولكن لم يعينهما ، وقوله(17) (والمضاعف في البيان ... فيجوز فيه من تأليف الحروف جميع ما جاء من الصحيح والمعتل ومن الذلق والطلق والصتم) . وفي مادة \ طلق من (العين) نجد قوله : (ورجل طليق اللسان وطلق اللسان : ذو طلاقة وذلاقة ، ولسان طلق ذلق اي

****

(14) بركشتراسر التطور النحوي 13

(15) مادة \ صتم (7 \ 107)

(17) المصدر السابق 1 \ 55

دور البصرة في نشأة الدراسات الصوتية . 8 .

(/)

مستمر) . وهنا نجد (الطلاقة) مقرونة بالذلاقة من غير تعيين حرفيها . وهذا مصطلح كسابقه لم يرد عند سيبويه .

اما مصطلح الذلاقة والحروف الذلق ، فعلى الرغم من عدم وروده في كتاب سيبويه ، فأنه نال نصيباً من الانتشار عند الدراسيين الاقدمين(18) . والمحدثين(19) . وهو مصطلح يشير الى مخرج بعض الاصوات التي تنتهي عند طرف اللسان . وقد حددت هذه الاصوات في مقدمة (العين)(20) بـ (ر ، ل ، ن ، ف ، ب ، م) . قال : وانما سميت هذه الحروف ذلقاً لأن الذلاقة في المنطق انما هي بطرف اسلة اللسان والشفتين وهما مدرجتا هذه الاحرف الستة .

. 4 .

وننتقل الى كتاب سيبويه فنجد الامر خلاف ما وجدناه في كتاب (العين) ، نجد :

1 . ان مصطلحاته لا تتشابه لفظاً ولا دلالة مع مصطلحات (العين) . وهذا يعني ان سيبويه لايعرف كتاباً بهذا الاسم للخليل . كما يعني ايضاً ان هذه المصطلحات ليست مما يعرف الخليل . والا عرفها سيبويه .

2 . ان كتاب سيبويه يتعرض بشكل دقيق الى صفات الاصوات (السواكن) ، كالجهر والهمس ، بينما جل مصطلحات (العين) تتصل بصفات المخارج .

3 . ان سيبويه حدد هذه المصطلحات وشرحها ، وان كان الغموض اكتنف شرح بعضها لأسباب تتعلق ، ربما ، بلغة سيبويه .

****

(18) ابن جني ، سر صلنبعة الاعراب 1 \ 74

(19) هنري فليش ، العربيه فصحى 36

(20) 1 \ 51

دور البصرة في نشأة الدراسات الصوتية . 9 .

4_ شاعت مصطلحات بين الدارسين ، من بعده ، وجدها الكثيرون منهم صالحة لأن تكون معبره عن المصطلحات الصوتية الحديثة ، ومقابلاً مناسباً للمصطلحات في اللغات الاوربية .

(/)

قسم سيبويه صفات الاصوات الى قسمين رئيسين هما : الاصوات الشديدة والاصوات الرخوة . وهاتان الصفتان تتحكمان بمجرى الهواء وانتاج الصوت . وقد عرف الصوت الشديد بأنه (الذي يمنع الصوت ان يجري فيه) (21) وهذه الاصوات عنده هي : الهمزة والقاف والكاف والجيم والطاء والتاء والدال والباء . اما الصوت الرخو فغلاف الشديد عنده . واصواته هي الهاء والحاء والغين والخاء والشين والضاء والظاء الزاي والسين والظاء الثاء والذال والفاء .

وكل صوت شديد او رخو ينقسم بدوره عنده الى صوت مجهور وصوت مهموس . وهذا التقسيم يعتمد على وجود الرنين الذي يصاحب نطق هذه الاصوات او عدم وجوده . فالصوت المجهور فيه رنين والصوت ، المهموس لارنين فيه .

وقد عرف الصوت المجهور بأنه : (حرف اشبع الاعتماد في موضعه ومنع النفس ان يجري معه حتى ينقضي الاعتماد عليه ويجري الصوت)(22) . واما المهموس (فحرف أضعف الاعتماد في موضعه حتى جرى النفس معه)(23).

والاصوات المجهورة عنده هي : الهمزة والالف والعين والغين والقاف والجيم والياء والضاد واللام والنون والراء والطاء والدال والزاي والظاء والذال والباء والميم والواو .

اما المهموسه فهي : الهاء والحاء والخاء والكاف والشين والسين والتاء والصاد والثاء والفاء .
ثم نجد عنده تقسيماً ثالثاً يعتمد على ارتفاع اللسان الى الحنك الى الاعلى او
عدم ارتفاعه . وسمي هذه الاصوات : المطبقة والمنفتحة. والاصوات المطبقة عنده

****

(21) الكتاب 4 \ 434 .
(22) المصدر نفسه 4 \ 434 .
(23) المصدر نفسه .

دور البصرة في نشأة الدراسات الصوتية . 10 .

(/)

اربعة : الصاد والضاد والطاء والظاء . وما عداها فاصوات منفتحة . يقول في وصف هذه الاصوات : (وهذه الحروف الاربعة اذا وضعت لسانك في مواضعهن انطبق لسانك من مواضعهن الى ما حاذى الحنك الاعلى من اللسان ترفعه الى الحنك . اذا وضعت لسانك فالصوت محصور فيما بين اللسان والحنك الى موضع الحروف)(24) فالاطباق عنده صفة اساسية في تحديد الصوت ، بأنعدام هذه الصفحة يتكون صوت أخر . قال : (ولولا الاطباق لصارت الطاء دالاً ، والصاد سيناً ، والظاء ذالاً،
ولخرجت الضاد من الكلام لانه ليس شيء من وضعها غيرها(25) .
والى جانب هذه الصفات نجد عنده (الصوت المنحرف)(26) ، وهو انحراف اللسان مع الصوت . ومثل له بصوت اللام . واصوت المكرر وحرف شديد يجري فيه الصوت لتكريره وأنحرافه الى اللام ... ولو لم يكرر لم يجر الصوت)(27) ومثل له بصوت الراء .

. 5 .

وماذا بعد سيبويه وما نسب الى الخليل في الدرس الصوتي ؟ ... يذهب
الدكتور أبراهيم انيس الى ان العلماء الذين جاؤا بعد سيبويه (اكتفوا بترديد كلامه في نفس الالفاظ

والحروف دون ان يزيدوا عليه ما يستحق الذكر ، ودون شرح واضح لتلك الآراء . بل حتى أولئك المشهورون من شراح كتاب سيبويه امثال السيرافي والرماني كانوا يقنعون في شرحهم للاصوات اللغوية بذكر الفاظ سيبويه وعباراته ومصطلحاته كما هي(28)) .

****

(24) المصدر نفسه 4 \ 436 .

(25) المصدر نفسه .

(26) المصدر نفسه .

(27) المصدر نفسه 4 \ 435 .

(28) الاصوات اللغوية 106 .

دور البصرة في نشأة الدراسات الصوتية . 11 .

ولقد رجعنا الى كتب ثلاثة من علماء البصرة نستعرض ما ورد فيها من افكار في الدرس الصوتي ، هم : ابو الحسن سعيد ابن مسعدة المعروف بالاخفش الأوسط (ت نحو 215 هـ) ، وابو العباس محمد بن يزيد المبرد (ت 285 هـ) ، وابو بكر محمد بن الحسن بن دريد (ت 321 هـ) .

(/)

والاخفش ، على الرغم من انه اسن من سيبويه ، فأنه تتلمذ عليه وعنه اخذ الكتاب ورواه . اما الخليل فهناك خلاف حول الاخذ عنه ، فبينما يذهب ابو الطيب اللغوي ال (انه لم يأخذ عن الخليل(29)) ، يؤكد ابو بكر الزبيدي انه (صحب الخليل قبل صحبته لسيبويه(30)) . وهذا يعني اطلاع الاخفش على المادة الصوتية في كتاب سيبويه ، مما له انعكاس في كتابه (معاني القرأن) ، وهو تفسير لغوي للقرأن الكريم ، مع العناية بالجوانب الصوتية والصرفية والدلالية(31) .

كتاب (معاني القرأن) يؤكد امرين : اولهما متابعة الاخفش لسيبويه في مصطلحاته ووصف مخارج الاصوات ، عامة ، وثانيهما : عدم اطلاعه على كتاب (العين) ، وبالتالي خلوه من اي مصطلحاته الصوتية التي مر ذكرها ، أو نقل لوصف مخارج الاصوات كما هي في العين .

واطلاع الاخفش على المادة الصوتية لسيبويه لايعني النقل الحرفي لها ، وانما نجده احياناً يصف بعض مخاج الاصوات وصفاً فيه دقة توحي بعلم الاخفش في هذا الفن . فبينما يضع سيبويه الدال والتاء في مخرج واحد هو (مما بين طرف اللسان واصول الثنايا) ، يضعها الاخفش في مخرجين متقاربين ، فالدال

عنده (بطرف اللسان واطراف الثنيتين)(32) ، (والتاء بطرف اللسان واصول الثنيتين)(33) ، واللام عند سيبويه (من ادنى حافة اللسان الى منتهى طرفه) ، نجدها عند الاخفش

****

(29) مراتب النحويين 111 .

(30) طبقات النحويين واللغويين 73 .

(31) مقدمة الدكتور فائز فارس لكتاب (معاني القرأن) 1 \ 57 .

(32) معاني القرأن 1 \ 107 .

(33) المصدر نفسه .

دور البصرة في نشأة الدراسات الصوتية . 12 .

(بطرف اللسان قريب من اصول الثنايا) ، وهي (بالشق الايمن ادخل في الفم)(34) .

(/)

ونجد الامر معكوساً في مخرجي الصاد والنون ، اذ يضعهما سيبويه في مخرجين فيهما تفريق ودقة في الوصف .فمخرج النون عنده (من طرف اللسان بينه وبين ما فوق الثنايا) . والصاد (مما بين طرف اللسان وفويق الثنايا) ، يضعهما الاخفش في مخرج واحد هو (مخرج طرف اللسان)(35)

اما المصطلحات التي تصف هذه الاصوات ، فنجد لديه : الاطباق والمطبق ، والجهر والمجهور ، والهمس والمهموس(36) .

. 6 .

اما المبرد فقد عالج الاصوات اللغوية في كتابه المقتضب(37) ضمن باب الادغام ، كسيبويه . ومادته فيه ملخصة عن (الكتاب) ، وان لم يذكر ذلك . وعدد الحروف (الاصوات) عنده (خمسة وثلاثون حرفاً ، منها ثمانية وعشرون لها صوره)(38) ، وبذلك يختلف عن سيبويه الذي عدها تسعة وعشرين حرفاً(39) .

****

(34) المصدر نفسه 2 \ 533 .

(35) المصدر نفسه 1 \ 23 .

(36) المصدر نفسه 2 \ 366 .

(37) 1 \ 192 . 196 .

(38) المقتضب 1 \ 192 .

(/)

---

(39) ابن يعيش في شرح المفصل (10 \ 126) والسيوطي في جمع الهوامع (2 \ 227) والطيب البكوش في النظريات الصوتية في كتاب سيبويه 145 ، والدكتور خليل العطية في الفكر الصوتي عند ابن دريد 175 وغيرهم ، يذهبون الى ان المبرد اخرج صوت الهمزة من الاصوات العربية . والذي في كتاب المقتضب خلاف ذلك . يقول (1 \ 192) : (فمن اقصى الحلق مخرج الهمزة ، وهي ابعد الحروف ، ويليها في البعد مخرج الهاء ...) . ويتتبع مخارج الاصوات التي ذكرها نجده لايذكر صوت الياء (ي) . ولعل ما نقل ابن يعيش عن المبرد بشأن الهمزة عن كتاب أخر غير المقتضب في فالنصوص التي يذكرها لا وجود لها في هذا الكتاب . فأذا ذهبنا مع محقق الكتاب ، محمد عبد الخالق عضيمة ، في مقدمة الكتاب ص 5 الى ان المبرد الف المقتضب (وقد تأصل تفكيره ونضجت ثقافته واستوت معارفه ...) ، فمن المحتمل انه راى رأياً أخر في الهمزة في كتابه المقتضب .

دور البصرة في نشأة الدراسات الصوتية . 13 .

ترتيب الاصوات حسب مخارجها يشبه ، عنده ، الى حد كبير ترتيب سيبويه ، الا انه قدم بعض الاصوات وأخر اخرى من غير تفسير . فقدم (الحاء) على (العين) ، و (الخاء) على (الغين) ، و (الشين) على (الجيم) ، و (التاء) على (الدال) ، و (الصاد) على (الزاي) ، و (الثاء) على (الذال) ، و (الواو) على الباء والميم) (40) .

(/)

اختلفت عن سيبويه في وصف بعض مخارج الاصوات ، فالضاد عنده (مخرجها من الشدق ، فبعض الناس تجري له في الايمن ، وبعضهم تجري له في الايسر .) (41) وهذا الوصف ليس وصف الضاد الفصيحة ، وانما هو وصف (الضاد الضعيفة) التي وضعها سيبويه ضمن الاصوات السبعة التي تكون اثنين واربعين حرفاً ، وعدها (غير مستحسنة ولا كثيرة في لغة من ترتضي عربيته ، ولا تستحسن في قراءة القرأن ولا في الشعر ..) . قال سيبويه (الضاد الضعيفة تتكلف من الجانب الايمن . وان شأت تكلفتها من الجانب الايسر وهو اخف ..)(42) .

يذكر بعد ذلك صفات الاصوات كما هي عند سيبويه : الرخوة والشديدة ، والمهموسة والمجهورة ، وغيرها . وعلى الرغم من ان كتاب (العين) معروف في زمانه الا اننا لا نجد اثراً لمصطلحاته عند المبرد .

اما ابن دريد فقد درس للاصوات اللغوية في مقدمة معجمه (الجمهرة اللغة) ، وهي دراسة تبدو فيها متابعته لما كتب لهذا الفن عند سيبويه وكتاب (العين) . وقد صرح بذكر الخليل و (العين) فأثنى عليه(43) . اما سيبويه فلم يذكره لامن قريب ولا من بعيد في هذه المقدمة على الرغم من افادته منه(44) .

****

(40) المقتضب 1 \ 192 . 194 .

(41) المصدر نفسه 1 \ 193 . (42) الكتاب 1 \ 432 .

(43) الجمهرة 1 \ 3 .

(44) د . خليل العطية ، المصدر السابق 174 . 175 .

دور البصرة في نشأة الدراسات الصوتية . 14 .

قسم ابن دريد(45) الاصوات الى ، مصمتة و مذلقة وهما مصطلحان صوتيان من مصطلحات كتاب (العين) . فالمذلقة ستة اصوات هي : (أ) جنس الشفة (ف ، م ، ب) (ب) جنس اسلة اللسان (ر ، ن ، ل)

اما الاصوات المصمتة فأثنان وعشرون صوتاً ، ثلاثة منها معتلات (و ، ي ، الالف) ، وتسعة عشر(46) صحاح ، هي :

(أ) اصوات الحلق (الهمزة ، هـ ، ح ، ع ، خ ، غ)

(ب) اصوات اقصى الفم (ق ، ك ، ج ، ش)

(ج) اصوات وسط اللسان (س ، ز ، ص)

(د) اصوات ادنى الفم (ن ، ط ، د) و (ظ ، ث ، ذ ، ض)

ثم عاد مرة ثانية فقسم هذه الاصوات تقسيماً أخر تابع فيه سيبويه ، وان لم يذكره . قال : (وذكر قوم من النحويين ان هذه التسعة والعشرين حرفاً لها ستة عشر مجرى ...)(47) ، ذكر في هذا التقسيم المخارج الموجزة مع تقديم وتأخير في بعض الاصوات ، كالاتي : (الهاء ، الهمزة ، الالف ، العين ، الحاء ، الغين ، الخاء ، القاف ، الكاف ، الجيم ، الشين ، الياء ، السين ، الصاد ، الزاي ، النون ، اللام ، الراء ، التاء ، الدال ، الطاء ، الواو ، الباء ، الميم ، الفاء ، الظاء ، الذال ، الثاء ، الضاد) .

وهذا التقسيم ، كما هو واضح ، فيه اضطراب ملحوظ يصعب تفسيره . ولعل ماذهب اليه الدكتور خليل العطية من (ان النسخة التي بين ايدينا من الجمهرة مختلفة عن سواها)(48) فيه تفسير مقبول لهذا الاضطراب .

اما صفات الاصوات فكان فيها متابعاً سيبويه في الشدة والرخاوة . والجهر والهمس ، والاطباق والانفتاح ، وكتاب العين في المصمتة والمذلقة .

****

(45) الجمهرة 1 \ 6 . 7 .

(46) كذا ، وقد ذكر بعد عشرين حرفاً \ صوتاَ .

(47) الجمهرة 1 \ 8 .

(48) الفكر الصوتي عند ابي دريد 177 .

وبعد ، فمن خلال هذا العرض السريع لدور البصرة في نشأة الدراسات الصوتية يبقى لكتاب سيبويه دور الريادة في هذا العلم ، بعد ان ضل الذين جاؤا بعده من البصريين وغيرهم في فلك نضرياته الصوتية . ويبقى هذا الكتاب حتى يومنا هذا الوثيقة الاكثر اهمية في تاريخ الدراسات الصوتية العربية التي تؤرخ لعربيتنا منذ اكثر من الف عام .

دور البصرة في نشأة الدراسات الصوتية . 16 .

مصادر البحث

* الاصوات اللغوية . د . ابراهيم انيس القاهرة (الطبعة الرابعة) 1971

(/)

---

* التطور النحوي للغة العربية . برکشتراسر ، اخرجه : د . رمضان عبد التواب القاهرة (مكتبة الخانجي) 1982

*جمهرة اللغة . لأبن دريد ، تصحيح : فريتس كرنكو ، الهند (حيدر اباد الدكن) 1344 هـ .

* دروس في علم اصوات العربية – جان كانتينو ، ترجمة : صالح القرماوي . تونس 1966 .

* سر صناعة الاعراب – ابن جني ، تحقيق مصطفى السقا وأخرين . القاهرة (البابي الحلبي) 1954 ، الجزء الاول.

* شرح المفصل . لأبن يعيش ، القاهرة (المطبعة المنيرية) 1928 .

* طبقات النحويين واللغويين – ابو بكر الزبيدي ، تحقيق : ابي الفضل ابراهيم . القاهرة (دار المعارف) 1973 . الطبعة الثانية .

* العربية الفصحى – هنري فليش ترجمة : د . عبد الصبور شاهين . بيروت (المطبعة الكاثولوكية) 1966 . علم اللغة . د محمود السعران ، القاهرة (دار المعارف) 1962 .

* العين . الخليل بن احمد الفراهيدي ، تحقيق : د . مهدي المخزومي و د . ابراهيم السامرائي ، بغداد (وزارة الثقافة) 1980 وما بعدها .

* الفكر الصوتي عند ابي دريد . د . خليل العطية ، مجلة كلية الاداب (جامعة البصرة) العدد 16 \ 1980 .

* الفهرست . لأبن النديم ، تحقيق : رضا تجدد ، طهران 1971 .

* الكتاب سيبويه ، تحقيق : عبد السلام هارون ، القاهرة .

*كلام العرب . د . حسن ظاظا ، القاهرة (دار المعارف) 1971 .

* المدخل الى علم اللغة . د . رمضان عبد التواب ، القاهرة (مكتبة الخانجي) .

* مراتب النحويين – ابو الطيب اللغوي ، تحقيق : ابي الفضل ابراهيم . القاهرة (دار نهضة مصر) 1974 الطبعة الثانية .
* المزهر . للسيرافي ، تحقيق : ابي الفضل ابراهيم . القاهرة (البابي الحلبي) ، بلا تاريخ .

(/)